السؤال الفلسفي عن المرأة

د.بن دوخة هشام، جامعة تلمسان

مخبر الفلسفة وتاريخ الزمن الحاضر،جامعة وهران2

يشاع في راهننا أن المرأة أصبحت سطحية تعتمد المظاهر وتراهن على المظاهر الزائفة، ويساهم في ترويجها إعلام تافه، لأن المهم هو أن ترضي الرجل الذي يهبها المكانة والإعتراف لكي تصبح هي طرفا آخر ممنوحا دلالة وقيمة وهكذا تتسلسل العلاقة ذات الحدين :المرأة والرجل وفق تراتب شرس.

هذا المنظور إلى وضعية المرأة يدهشني، ينبغي أن يدهشني لأطول مدة ممكنة، وبطريقة ملحة ربما يدفعني في الأخير إلى طرح هذا السؤال:ماذا يعني أن يعيش فيلسوف إلى جانب امرأة زائفة، لاتؤمن بأفكاره وبآرائه؟ وماذا أن تكون نساؤنا كلهن مزيفات وبدون استثناء؟

قد تبدو هذه التوطئة عنيفة في حق وضعية المرأة، لكنها في الحقيقة ترمي إلى الكشف والإنكشاف، إنها بعبارة أقرب تحريض على خلع القناع عن وجه حقيقة وضعية المرأة. لكي ندرك ذلك كان لابد لنا من استحضار جينيالوجيا "نيتشه" لوضعية المرأة في زمانه، حيث تقريبا منذ القرن التاسع عشر، بدأت المرأة تعي وضعيتها، أي بدأت توصل صوتها مطالبة بالإنعتاق والتحرر والمساواة مع الرجل في الحقوق، أو فلنقل بصراحة أن المرأة سئمت حصر دورها في الحياة كزوجة وأم فحسب. وهنا بالذات تكمن مأساتها في نظر "نيتشه"، أي في اللحظة التي تخلت فيها المرأة عن مسؤوليتها الأساسية بدأت نكبتها ويبدو أنها متواصلة لحد اليوم، ثم هل مأساة وضعية المرأة هي مخلفة من مخلفات الحداثة ؟

وبالفعل يبدو حضور المرأة قويا في نصوص "نيتشه"، و كذلك يبدو أن الشائع عن تصوره لها يكاد يساوي ما تعرضت له مفاهيمه الأخرى حول "الإنسان الأعلى" و "إرادة الإقتدار" من سوء فهم، إذ غالبا ما ينعت الفيلسوف المتوحد كونه عدوا لذوذا للمرأة، إذ دأبت العادة وقد أصبحت موضة أن تستحضر مقولة "زرادشت":"إذا ما ذهبت إلى المرأة لاتنسى السوط" كلما ذكر موقف "نيتشه" عن المرأة. بيد أن قراءة متأنية لشذراته المكتوبة على شرف المرأة تكشف عن رؤية أخرى بل عن طموح منتظر من دور المرأة.

لا يحبذ "نيتشه" مخاطبة المرأة وجها لوجه، ولذلك سوف تسلك استراتيجيته في تعامله مع قضية المرأة منذ الوهلة الأولى "استراتيجية الحذر"، هذا ما تنبه إليه "زرادشت" (Zarathoustra) مسبقا: "لا ينبغي الحديث عن المرأة إلا الرجال"[1]، و مع ذلك نجده في الكثير من شذارته قد خاطبهن و تكلم معهن، و لعل "لو أندريا سالومي" (Lou Andreas-Salomé)، و "مالفيدا فون مايزنبغ" (Malwida Von Meysenbug)، أمثلة صريحة عن حوار "نيتشه" و المرأة مباشرة. و ربما هي رهافته التي تجعل الكلام عن المرأة أمرا لا يدور إلا بين الرجال فحسب. من هنا لا ينبغي أن تفهم معالجة "نيتشه" "لقضية المرأة" على أنها تحمل ضدها مواقف عنيفة فحسب، بل علينا أن نميز لهجة بعض الشذرات الأخرى التي تعكس بعض الطموح المنتظر منها. و بهذا تكشف جينيالوجيا المرأة بالنسبة إلى "نيتشه"، أن النقد الموجه إليها، ليس بنقد عقيم، و إذا كان الأمر كذلك، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هو البديل الذي يقدمه "نيتشه" للمرأة حتى تنفلت مما عليه، و تنتقل إلى مقام آخر، تستطيع فيه أن تحقق في ذاتها (En Soi) مكانة أفضل من تلك التي تجعلها مجرد وسيلة لا غاية على حد تعبير "نيتشه"؟

أ- بين الرجل و المرأة:

[1] Nietzsche (F), ansi parlait Zarathoustra, in Nietzsche, Friedrich oeuvres, trad.Henri Albert, et Robert Laffont, 1993, « Des Femmes vielles et jeunes, p 333.

إن أحد أهم الأسئلة التي يعالجها "نيتشه" في سعيه وراء كشف المستور عن "قضية المرأة"، هو السؤال أولا عن نظرة الرجل إلى المرأة، فيمكن القول أن النقد الذي يوجهه "نيتشه" هو نقد يضاف إلى نظرة الرجال إليها، حيث يظهر جليا أنه يعالج كعالم نفس علاقات الرجال و النساء. لينتهي بالقول أن هذه العلاقة قامت غالبا على إرادة ارتكاسية ضعيفة، جاعلة من الأنوثة (La Féminité) عرضة لأغلب الصفات السلبية، هنا يشرع "نيتشه" في معاتبة المرأة قبول السلب و الضعف: "أغلبهن مثقفات على الضعف، متلهفات على شفقاتهن الصارخة، على ازدرائهن لكل ألم، و على التخنث الإرادي الذي يلوح بنشر بوذية جديدة في أوروبا."[2]

و بالتالي نستطيع الانتهاء بالقول أن "نيتشه" يستخلص كل ما هو سلبي و دنيء، بماهية أنثوية في ذاتها: "المرأة أخيرا، أحد نصفي البشرية، ضعيفة نموذجيا، غير مستقرة، مريضة متقلبة، هي بحاجة إلى القوة لتتعلق بها (...)، لقد تآمرت المرأة دائما مع نماذج الانحطاط، مع القساوسة، ضد القادرين و الأقوياء و الرجال".[3]

حسب أو وفق معيار "إرادة القوة"، نمطين: ضعفاء ذوي إرادة السلب، و أقوياء ذوي كلمة "النعم المؤكدة" (Le oui affirmative) حتى لأخطر

[2] Nietzsche (F), Par-dela le bien et le mal, trad.Henri Albert, in Nietzsche Friedrich œuvres, Ed.Robert Laffon, 1993, P.732, Aph (302)
[3] Nietzsche (F), Fragments et aphorismes, Extraits choisis et présentés par louis Van Delft, Ed.Librio, 2003,P.49.

الأشياء و أكثرها هو لا !. بيد أن الوجه الآخر "لنيتشه" في تشخيصه لقضية المرأة، يكشف عن تعريف للعبقرية بصفات أنثوية و يكشف في الآن ذاته عن توبيخ للرجل إستقاه "نيتشه" من تربية النساء: "ثمة أمور تثير الدهشة في تربية النساء خاصة في العائلات الراقية، و لا يوجد أمر أشد مفارقة من ذلك، فالجميع متحد على تربيتهن مع تجاهل كبير لكل ما يتعلق بالجنسانية، إلى حد يثير فيهن الحد الكبير، و تعلمهن الصبر المخيف أو فلنقل الحاجة إلى الهرب عند أي تلميح إباحي، و يبدو أنه حول هذه الأمور فحسب يكمن شرف النساء الذي لا يغفره لهن أحد"[4].

لا يفهم من قول "نيتشه" هذا أنه مجرد قول يعكس نوعا من "التعاطف" مع المرأة، بل أكثر من ذلك ثمة فجوة سيستغلها للتأكيد أن مكانة المرأة لم تقدر بعد، و أن الكثير من صفاتها السلبية، إنما يتحمل وزرها الرجل، بفعل إخضاعه المرأة و سعيه الدؤوب وراء تقنينها بفعل أدوات كالتربية لتصبح مجرد آلة فحسب (Machine)، يضيف "نيتشه" في نفس الشذرة: "... حتى أشد علماء النفس، مهما بلغت و حشيته لا يمكنه الكشف عن الطريقة التي تستطيع المرأة أن تحل بها هذا اللغز أو ذاك، و لا أن يكشف سر المرأة الذي يسكن في عمقها البائس و منتهى شك النساء، بإختصار لا تحظى النساء إطلاقا بما يكفي من الرأفة"[5].

[4] Nietzsche (F), Le Gai Savoir « La Gaya Scienza », trad.Jean Lacoste, in Nietzsche Friedrich œuvres, Ed.Robert Laffon, 1993,P.93, Aph (71).
[5] Ibid.

أن يكون خلاص المرأة (Le Salut de la femme) في حل هذه المفارقة التربوية التي تتعرض لها النساء يبدو أن ذلك يشكل مسألة أساسية في تفكير "نيتشه"، فالعلاقة بين "الشهوة و العفة"لا تنم في رأيه أبدا عن أي تعارض أو تقابل، بل العكس: "كل مشروع زواج ناجح، كل ميل قلبي هو أعلى من هذا التعارض".[6]، و المرأة نفسها ينبغي أن تدرك ذلك، لأن طبيعتها الأصيلة هي كذلك، كالحكمة تماما في تصور "نيتشه"، مستهزئة عنيفة دائما: "ساخرة و عنيفة تريدنا الحكمة، إنها امرأة، و لن تعشق أبدا سوى محاربا."[7]، لا نبالغ إذا، حين نقوله أن أساس رؤية "نيتشه" لنفسية المرأة يعتمد على هذه المعادلة: الغريزة/العقل، حيث ينبغي توحيد طرفي هذه المعادلة حتى تكتمل المرأة، و ذلك في مقابل الرؤية التي يقدمها المجتمع و الدين، رؤية ضرورة صنع المرأة العاقلة (La femme rationnelle) فحسب. و هنا موضع تقهقر المرأة بالذات، لأن تسامي الغريزة يتحقق بمساعدة العقل، و ليس الاعتماد على هذا الأخير و إقصاء الأولى ليس سوى ضربا من العجز، و تلك هي مفارقة التربية التي تربى عليها النساء. بينما أن خلق المرأة فيما يرى "نيتشه" ينجح بتحقيق الانسجام بين جزئها العقلي و مقابله الغريزي. و يذكرنا ذلك بما اكتشفه "نيتشه" في أدبيات الثقافة الإغريقية، نعني بذلك: ديونيزوس و أبولون

[6] Nietzsche (F), La Généalogie de la Morale, Trad.Henri Albert, in Friedrich Nietzsche œuvres, Ed.Robert Laffont, 1993, P.837.Aph (2).
[7] Ibid.

(Dionysos et Apollon)، مثال عن الأنا المنسجم غريزيا و عقليا، في مقابل الأنا الأبوي، القائم على تغليب سلطة العقل، و ذلك أساس مشروع تربية المرأة كما أشرنا سالفا باسم الرجل، الذي قصر في اكتشاف ضفة المرأة الأخرى، و ذلك في فلسفة أساسها إخضاع المرأة و ليس خلق المرأة.

أشرنا في البداية أن ما يوجهه "نيتشه" من خطاب للمرأة، موجه أيضا للرجل من طرفه، لاسيما الإنسان أو الرجل الأخير: "المرأة عاجزة عن الصداقة، لا تزال النساء هررة، عصافير، و بقرات في أفضل الأحوال."[8]

المرأة تفتقر إلى الصداقة، لكن أجيبوني يا معشر الرجال، من يقدر على الصداقة منكم[9]؟. و في موضع آخر يضيف "نيتشه": "و ما أبخل أرواحكم أنتم أيها الرجال، ما تقدمونه لصديق، أريد تقديمه لعدوي، و لن يجعلني ذلك فقيرا، يوجد رفقة، أيمكن أن تكون هناك إنسانية مقنعة !."[10]، و بهذا يؤكد "نيتشه" مرة أخرى أن النمط النسوي بالنسبة للرجل هو نمط "أبوي"، النمط الذي يفرض إرادة الأب، و هل من الصدفة أن يفرد "لوك فيري" (Luc Ferry) واحد من مؤلفي: "لماذا لسنا نيتشويين" مبحثا ضد الأبويين؟ !. يريد "نيتشه" إعادة قران الرجل و المرأة، يريد إعادة دمج الرجل و المرأة في الطبيعة، الرجل و المرأة

[8] Nietzsche (F), Ainsi Parlait Zarathoustra, op.cite, P.335.
[9] Ibid, P338.
[10] Ibid.

ليساعدوين، الواحد هو مرآة للآخر، و لكي تعرف المرأة نفسها عليها أن تمر بكل ما هو خارج عن الرجل، و لكي يدرك الرجل نفسه عليه أن يعرف المرأة. أو كما يقول "جيل دولوز" (Gilles Deleuze): "يثق "نيتشه" في الثقافة، التي هي أساسا ترويض و انتخاب، إنها تعبير عن رفض القوى التي تستحوذ على التفكير، لتجعل منها شيئا فاعلا، تأكيديا."[11]، فليؤكد الرجل المرأة إذن، و لتحسب المرأة بأن تجمع الرجل و الفن و الحياة معا، و ربما كان ذلك جل نقد "نيتشه" للإنسان الأخير، و للمرأة التي تنتمي إلى دائرة هذا الإنسان الأخير.

ب- ما يعاب على المرأة:

ليس من هدف للمرأة فيما يرى "نيتشه" اللهم إلا "هدف وضع طفل"، الأمومة بالنسبة "لنيتشه" نداء المرأة الوحيد: "ندائهن الأول و الأخير هو وضع الأطفال في العالم."[12] ، و إذا كان "نيتشه" يتطلع بغضب ساخر إلى ما يسمى مثال المرأة –الطفل-، فما ذلك يبدو لنا إلا في مواجهة ما لحق بالمرأة جراء هذا الشغف بغاية الطفل. بالعكس إنه يرى المرأة دائما تشغل وضعية التابع بفعل غريزة التابع، هي في حاجة دوما إلى حماية و إلى طلب الدعم، و يرديها "نيتشه" خلاقة، أو بالأحرى صاحبة إرادة خلاقة (Volonté créatrice)، إرادة خلق الإنسان الأعلى

[11] Gilles Deleuze, Nietzsche et la Philosophie, P.U.F, 1993, P. 125.
[12] Nietzsche (F), Par dela le bien et le mal, op.cite, P.683, Aph (239).

(La Sur-homme)، ألم ينصح زرادشت المرأة: "فليتلهن شوقكي مخاطبا: لأضعن للعالم الإنسان الأعلى !"[13]

يعرض "نيتشه" لإشكال المرأة انطلاقا من سلاح الغريزة الذي تمتلكه، لأنها تمتلك غريزيا إغواء استمرار الحياة –الطفل-، الذي يرضخ له الرجل. إنه إغواء لا يمكنه التخلي عنه، و هنا نفهم ثانية ما أشرنا إليه آنفا، أن "نيتشه لا يتكلم عن المرأة إلا في حضرتها مع الرجل.

هكذا يجزم "نيتشه" أن كل إشكالات المرأة تجدها حلها في الولادة – الطفل-، و لا تتمسك بمعرفة دورها الأصيل، إضافة إلى أن المرأة لا تهتم سوى بالمظاهر، و الجمال الزائف، تسعى كي تظهر مسالمة أمام الرجل، مع أنها في عمقها عكس ذلك: "و روحهن أكثر خصوبة منهن لدرجة ينبغي فيها وضعهن في قفص."[14] إن جل اهتمامات المرأة تنتمي إلى الغريزة التعبة من الحياة و ليس غريزة الحياة، و "نيتشه" لا يريد إخفاء هذه الحقيقة بل يريد مواجهتها، و لا يريد إخفاء حقيقتها المرة التي تعيش فيها، و لعله كان من أرفع و أرهف من تنبه إلى الألاعيب التي تتبعها المرأة مع نفسها لتغيّب عن ناظريها حقيقة تهرب من مواجهتها. و بذلك نفهم نضالها في سبيل أفكار تجد فيها الراحة و لو مؤقتا كالمساواة مع الرجل مثلا، أو التحرر، حتى تغدو مفكرات أحرار (esprits libres)،

[13] Nietzsche (F), Ainsi Parlait Zarathoustra, op.cite, « De l'enfant et Du Mariage », P.337.
[14] Nietzsche (F), Par dela le bien et le mal, op.cite, P.681, Aph (237).

و ذلك إغواء ثاني بعد غواية الطفل فيما يرى "نيتشه" يضحك كثيرا: "تسعى البعض المضي حتى يتحولن إلى مفكرات أحرار، كأنما رجل عميق لا يرى في امرأة لا دين لها شيئا كهذا كريه و مضحك جدا."[15] هكذا يقر "نيتشه" أن شعار المرأة –تحرر النساء- هو من شعارات الحداثة الخاطئة، حيث تمنح المرأة فرصة كي تقهر نفسها بنفسها طلبا لذلك، كمأنه لا يرفض وجود نساء متميزات، أو لم تكن "لوسالومي" كذلك؟!، لكن ما

يرفضه هو طلبهن المساواة مع الرجل، فكلاهما في نظره كائن غريب عن الآخر، و تفصلهما هوّة كبيرة كنموذجين. و على هذا المستوى بالذات لا يحمّل "نيتشه" الرجل مسألة تحقير المرأة، فينتقل كي يحملها هي تحقير ذاتها: "ألا يبدو صحيحا أن المرأة لم تكن محتقرة سوى من المرأة، و ليس منا نحن؟"[16].

المرأة هي أشد عدو لنفسها: "المرأة نفسها و في عمقها الشخصي تحتفظ دائما بإحتقار شخصي للمرأة."[17].

و بين تحميل الرجل مسألة تحقير المرأة، و تحميل المرأة مسألة تحقير ذاتها يستخلص "نيتشه" أن الرابط الوثيق بين الجنسين –المرأة، الرجل-، هو الكفاح و الصراع حتى على مستوى الحب !.

---

[15] Ibid, P683, Aph (239).
[16] Nietzsche (F), Par dela le bien et le mal, P.679, Aph (232).
[17] Ibid, P624.

و بما أن الرابط الأصيل في نظره بين الجنسين هو الصراع، فالمرأة تتحمل مسؤولية نجاح هبة نفسها للآخر. فبمجرد أن تمنح المرأة نفسها تنتظر المقابل –الطفل-، تمنح أغلى ما تملك لتنتظر الرد بالمثل – الطفل-، و هذا ما يؤسف "نيتشه": "ثمة نساء يفتقرن إلى ذهن نير، لا يجدن طريقة للتعبير عن أعمق حاجتهن إلا بمنحهن و إهدائهن فضيلتهن، و غالبا ما تمنح هذه الهبة بإلزام الموهوب الذي تشترطه الواهبات، و في ذلك مأساة حقيقية."[18]

و لكن "نيتشه" يقر بوجود المرأة الفنانة، التي تمنح نفسها بذكاء، و هي في مقابل صاحبة الهبة الخاسرة تضحي بلامبالاة، هي فنانة لأن الفنان يضحي بالعطاء دون مقابل –ديونزوسي- بطبعه، و ما "أريان" سوى دلالته (Son guide)، يتحابان في الفن أو في الفن الذكي –اللعب، الرقص، الضحك-،: "... بالأحرى كل امرأة حاذقة، نبيهة، فنانة، تمنح نفسها بذكاء تقدير الأشد خصوصية في الفنان، لتفهمه بكونه فنانا متألما، تحبه."[19]

إنها و فيما يبدو لنا و في حالة الفن هذه، الجزء الآخر للديونيزوسي، لم تتلقى تربية، لكن صار لها شكلا –الفن-، لتستعيد صورة الفنان الذي

[18] Nietzsche (F), le Gai savoir, op.cite, P.91, Aph (65).
[19] Nietzsche (F), Fragments Posthumes (automne 1887, mars 1888), Trad.Pierre Klossowski et Henri-Alexis Baatsch, Gallimard, 1979, P.219.

يفلح الأرض، التي سيخرج منها "الإنسان الأعلى". حركات الفنان و ضرباته القوية و الحادة، و ضربة واحدة خاطئة ستطير بالهدف الأسمى –الإنسان الأعلى-.

ج- المرأة، الإنسان الأعلى، أو الخلاص:

مع هذه الرؤية لقضية المرأة، و في مواجهة أمراضها، و ما أكثرها وجعا و أشدها إيلاما: (الطفل، التحرر، المساواة مع الرجل...). يضع "نيتشه" علاجا يسمح بإعادة تقويم المرأة و إصلاح ما يجدر إصلاحه فيها، للإبقاء على ما يمكنه أن يخدمها كنموذج فاعل. على أنه ما يجب أن نشدد عليه هو: "الزواج"، "لأن "نيتشه" سيبدأ من النهاية، فإذا كانت غاية المرأة الوحيدة هي الطفل، فالزواج هو وسيلة تحقيق هذه الغاية. لكن إذا كان الفيلسوف الألماني قد سئم الانغلاق و التحجر في التقاليد، و إذا كان هو يدعو إلى تجاوز زواج –الحداثة-، أو حتى زواج الكنيسة – المسيحية-، في نظرتهما للحياة و في رؤيتهما للإنسان، فإن التماثل بين "ديونيزوس" و "أبولون" قد يصلح من حيث طبيعتهما نموذجا لمشروع زواج جديد. يسمح لطرفيه -المرأة و الرجل-، بأن يخلقا ذاتهما في كل لحظة. إنه الزواج من أجل قيام "جمهورية الإنسان الأعلى" !، فلقد ولى زمن بناء البيت، و حل زمن عصر جديد، زمن النشأة و الخلق !.

"ليكن هذا معنى زواجك و حقيقته، أما ما ينعته هؤلاء الذين لا جدوى منهم بفائضي العدد، ما ينعتوه زواجا، آه كيف سأسميه أنا هذا؟"[20]

مع اعتراف "نيتشه" بأحقية المرأة في الزواج، حيث أن غايتها هي الطفل، إلا أنه يدرجها في مشروعه بغية أن تتجاوز الدور البيولوجي (Son rôle Biologique)، كي تقفز لتصبح أما للإنسان الأعلى. و هذا ما افتقر إليه الزواج الحديث (Le mariage moderne)، الزواج الذي يهدف إلى الحفاظ على النوع، فجعل من المرأة آلة لذلك بإمتياز. حيث يجعل منها دائما ملكية (Pocession)، فأدى ذلك إلى صراع عقيم بين الجنسين، الرجل يدعي التفوق، و المرأة تعاني من التبعية و تناضل في سبيل التحرر، و كلاهما في صراع لا طائل منه، حيث المرأة و الأبناء هم ملكية، و بالتالي فقد الزواج الحديث كل دلالاته، و من الممكن إلغاؤه.[21] و بالتالي فإن معالجة "نيتشه" للمرأة داخل حلقة الزواج، لن يخصص لها فحسب دورا بيولوجيا أو اجتماعيا، على العكس، و أكثر من ذلك، صار لها دور أو مهمة خلق المتميزين، ذاك سيكون الإنسان الأعلى بلا شك.

[20] Nietzsche (F), Ainsi Parlait Zarathoustra, op.cite, « De l'enfant et du mariage », P.338.
[21] Nietzsche (F), le crépuscule des idoles, trad.Henri Albert, in Nietzsche Friedrich œuvres, Ed.Robert Laffont, 1993, P.1014-1015, Aph (39).

و لن تصبح المرأة ههنا مجرد حفظ للواقع، بل تحويل له. ذلك أن سكرة و نشوة الإنسان الأعلى من شأنها أن تحول المرأة تحويلا إن هي احتست من كأسه !، تصير خصبة معطاة. تقدم على المغامرة و تركب المخاطرة لا لشيء إلا لأنها صارت تؤمن بالخلق: "هكذا أسمي إرادة الخلق عند اثنين: الزواج. أسمي الزواج الاحترام المتبادل لأولئك الذي يرغبون هذه الإرادة."[22]

و أن تتحول المرأة إلى إرادة خلاقة، هنا خلاصها في نظر "نيتشه". يجب أن تؤمن بدور جديد، يتجاوز دور القطيع (Troupeau) في الزواج، بوصفه ملاذا آمنا يحتمي به سائر النسوة. لتصبح أما للإنسان الأعلى. و ذاك واجب المرأة قبل خوضها في مسائل الحقوق: التحرر، المساواة...،. هنا تصير المرأة في الزواج ذات قوة علاجية هائلة، أي قوة الخلق، و تصير هي ما يمكن الرجل من الإستقواء. و الخطأ كل الخطأ يكمن أصلا في نظر "نيتشه"، فيما يسمى بالزواج، ففي هذا الأخير ساد دائما ضرب من النزوع إلى الحماية (Protection)، سواءا من طرف المرأة أو من طرف الرجل، و بفعل المؤسسة –المجتمع-، فكلا الجنسين يعتقد في الزواج سكينة حالمة: "يعطي فيه لشخصين الفرصة أن يشبع واحدهما

[22] Nietzsche (F), Ainsi Parlait Zarathoustra, op.cite, « De l'enfant et du mariage », P.338.

الآخر غرائزه الجنسية تبعا لشروط توافق المجتمع".[23] هذا الزواج هو بشكل مسبق "إنحطاط" بالنسبة للزواج المشروع (Le mariage Projet)، الذي يؤمن به "نيتشه"، كونه زواج انتقاء و انتخاب و إصطفاء نمط راسخ من جنس آخر أكثر إنسانية -الإنسان الأعلى-.

و النقد نفسه الذي يجريه "نيتشه"، على مفهوم الزواج الحديث، ينطبق على "قضية المرأة" الحديثة، لا تنفلت من رقابة الحقوق: التحرر، المساواة مع الرجل...)، لتنهمك في الواجبات –وضع الإنسان الأعلى-.و من ثمة فإن أصل إنحطاط المرأة مخلّفة من إهمالها النازع الحيوي لديها، أي أنها كانت سطحية النظر إلى الأشياء و إلى الحياة، بينما يريدها "نيتشه" أن تملأ الحياة بالحياة، و أن تحب مصيرها كل الحب، و ألا تحب إلا ما سوف يكون، لذلك سيجعلها "زرادشت" عنصرا فعالا في المعادلة الخلاقة، إذ ثبت في نظره أن لا وجود لإنسان كامل –أعلى- و إنما ينبغي بدءا الإبتدار إلى خلقه، و تلك هي مهمة المرأة الكاملة (La femme parfaite)، هذه الأخيرة يعتبرها "نيتشه" نموذجا

[23] Nietzsche (F), La volonté de puissance I, Essais d'une transmutation de toutes les valeurs, trad.Henri Albert, le livre de poche, librairie générale Française, 1991, P.349-350, Aph (259).

أعلى من الإنسانية الكاملة أو شيء ناذر[24]، على حد تعبيره، لأنها والدة الإنسان الأعلى !.

قد يبدو مما سبق أن ثمة تناقضا في موقف "نيتشه" من "قضية المرأة": تارة يذمها على نحو ما وجدناه يفعل مع المرأة التابعيّة، أو المرأة عاشقة التحرر و المساواة مع الرجل، و تارة أخرى يمجدها على نحو ما وجدناه يفعل مع المرأة الخلاقة أو الكاملة –والدة الإنسان الأعلى-، و الحقيقة فيما يبدو لنا، أن لا تناقض بين الأمرين، و ذلك لأن "قضية المرأة" قضية موكولة إلى المرأة عينها. و لهذا فإنه لئن كان "نيتشه" قد انتقد المرأة، فإنه ما كان لينتقد أية امرأة مهما كان شأنها، بل كان ينظر إليها بإعتبار النوازع (Les pulsions)، التي تحركها: أضعيفة هي أم قوية. لقد انتقد المرأة سليلة الضعف في ذاتها و إدانتها لنفسها بالتبعية، و ما كان له أن ينتقد المرأة القوية التي ستحفل بها عهود المستقبل. ثم إن استراتيجية الهجوم بالنسبة إلى "نيتشه" مبدأ متقلب. فمن شأن ذلك الذي حمل على المرأة حملا عنيفا في كثير من شذارته، كان له فيها بالمقابل: رؤية بعد الحياة الممتلئة حيوية و دفقا و خصوبة. و لعل "نيتشه" كما يؤكد على ذلك: "ميشال أونفري" (Michel onfray)، واحد

[24] Nietzsche (F), Humain trop Humain I, in Nietzsche friedrich œuvres, Trad.Henri Albert, Ed.Robert Laffont, 1993, P.617, Aph (377).

من نخبة الفرنسيين المهتمين بفكر "نيتشه": يحب المرأة و لكن هذه الأخيرة جعلته لا يحسن قول ذلك لها !.[25]

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

*Friedrich Nietzsche œuvres, Editions Robert Laffont, Paris, 1993.

استعملنا منه:

-Ainsi Parlait Zarathoustra, traduit de l'allemand par Henri Albert, traduction révisée par Jean Lacoste.

- Par-Dela Le bien et le mal, traduit de l'allemand par Henri Albert, traduction révisée par Jean Lacoste.

- Le Gai Savoir, traduit de l'allemand par Henri Albert, traduction révisée par Jean Lacoste.

- La généalogie de la morale, traduction de l'allemand par Henri Albert, traduction révisée par Jaques Le Rider.

[25] Michel onfray, La sagesse tragique du bon usage de Nietzsche, le livre de poche, librairie générale française, 2006, P21.

- Le crépuscule des idoles, traduit de l'allemand par Henri Albert, traduction révisée par Jean Lacoste.
- Humain trop Humain, traduit de l'allemand par A-M. Des rousseaux et Henri Albert, traduction révisée par Jean Lacoste.
- Nietzsche (F), Fragments et Aphorismes,extraits choisis et présentés par Louis Van Delft, Edition Librio, 2003.
- Nietzsche (F), Fragments Posthumes (automne 1887-mars 1888, trad.Pierre Klossowski et Henri-Alexis Baatsch, Gallimard, 1979.
- Nietzsche (F), La volonté de puissance I, Essais d'une transmutation de toutes les valeurs, trad.Henri Albert, le livre de poche, librairie générale française, 1991.

المراجع:

- Gilles Deleuze, Nietzsche et la philosophie, P.U.F,2005.
- Michel onfray, la sagesse tragique du bon suage de Nietzsche, le livre de poche, librairie générale française, 2006.